## ***المحور الرّابع والخامس: علوم البلاغة العربيّة (علم البيان/ علم المعاني/ علم البديع):***

### ***أولا/مصطلح البيان:***

****تمهيد:*** نشير إلى أنّ هذا **المصطلح** في نشأته لم يكن واضح الدّلالة، حيث كانت تميل دلالته إلى العموم أكثر منها إلى الخصوص، غير أنّها تحدّدت فيما بعد عندما استقرّت علوم البلاغة واتّضحت معالمها.

***أ-لغة:*** وردت الكلمة في معاجم اللّغة: بأنّ الشّيء يبين بيانا فهو بيّن، وكذلك أبان الشّيء فهو مبين أي واضح، والبيان ما يتبيّن به الشّيء من الدّلالة عن غيره، والتّبيين هو الإيضاح.

***ب-اصطلاحا:*** لها شأن آخر عند البلاغيّين، غير أنّ الملاحظ على هذه الكلمة في مجالها الاصطلاحي أنّها لم تبتعد نهائيا عن معناها اللّغوي والاصطلاحي الّذي اكتسبته في تطوّرها التّاريخي، حيث كان لها عدد من المدلولات، وتعود استخداماتها إلى صدر الإسلام، فيما ورد عن الرّسول (ص) في قوله: "إنّ من البيان لسحرا"؛ فالمصطلح جاء وصفا للكلام، الّذي يتميّز بالوضوح والتّأثير في النّفوس، وهذا التّأثير أشبه بالسّحر، لأنّ السّحر يغيّر حالة الإنسان ويجعله فاقدا السّيطرة على نفسه، والمقصود بذلك أنّ الكلمة الجميلة والواضحة تؤثّر في النّفس وتستولي عليها وهي بهذا تحقّق غايتين: -التّواصل بين المتكلّم والسّامع-التّأثير فيه وربّما تتجاوز ذلك إلى الإقناع. وأوّل من أعطى **المصطلح** اهتماما بارزا الجاحظ حيث خصّص له 11 صفحة، ليعرّفه بما يتماشى مع هدفه في كتابه البيان والتّبيين، وتتّضح مفاهيمه لهذه الكلمة كالتّالي:

1/استخدمه بمعنى **الإبانة** والإظهار والكشف عن المعنى الخفيّ الكامن في النّفس، ويبدو هذا في قوله: "الدّلالة الظّاهرة على المعنى الخفيّ هو البيان".

2/ استخدامه بمعنى اللّفظ أو اللّغة بوجه عام، وهو نوع من إطلاق الجزء على الكلّ، ويتّضح هذا من قوله: "أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه من الشّركة"، فالاسم هنا يعني به اللّفظ/ اللّغة.

3/ استخدمه بمعنى يرادف البلاغة، وقد جاء هذا المعنى في نهاية باب البيان، حيث قال في حديثه عن وظيفة البيان: "إنّ مدار الأمر والغاية الّتي يجري إليها القائل والسّامع، إنّما هي الفهم والإفهام".

**استنتاج:** حديث الجاحظ عن مصطلح "البيان" لم يكن يقصد به العلم الّذي جاء عند المتأخّرين بعده من علماء البلاغة.

-**الرّماني:** حدّد دلالة كلمة(البيان) بقوله: "الإحضار لما يظهر به تميّز الشّيء عن غيره".

-**الجرجاني:** نجده يستعملها كمرادف للفصاحة والبلاغة.

-**الزمخشري:** حاول أن يتحدّث عن مصطلح البيان في كتابه "الكشّاف" حين تحدّث عن مفسّر القرآن الكريم، حيث قال: "لا يتصدّى لسلوك تلك الطّريقة ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلاّ رجل قد برع في علمين مختصّين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان".

-**أبو يعقوب السّكاكي:** أكّد على استعمال هذا المصطلح في كتابه: "مفتاح العلوم" الّذي قسّمه إلى ثلاثة أقسام: جعل القسم الأوّل منها الصّرف والثّاني للنّحو والثّالث للمعاني والبيان وألحق بهما مسائل الفصاحة والبلاغة والمحسّنات البديعيّة.

***ثانيا/ علم البيان:***

- عرّفه **القزوينيّ** بقوله: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه".

وهو التّعريف الّذي استقرّت عليه البلاغة العربيّة في القديم والحديث وتضعه ضمن علومها الثّلاثة.

مثلا: في بيان فضل العلم، يقول الشّاعر: العلم ينهض بالخسيس إلى العلا

والجهل يقعد بالفتى المنسوب.

وفي نفس المعنى يقول الإمام "علي" كرّم الله وجهه: العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النّهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النّجاة يسيرون.

**موضوعه:** الألفاظ العربيّة، من حيث المجاز، والتّشبيه، والاستعارة والكناية.

**واضعه:** أبو عبيدة معمر بن المثنّى(110-209هـ) الّذي دوّن مسائل هذا العلم في كتابه المسمّى مجاز القرآن، وتبعه بعد ذلك الجاحظ(159-255هـ) بكتاب: البيان والتّبيين، ثمّ ابن المعتّز (247-296هـ) وقدامة بن جعفر(260-337هـ) حتّى وصل إلى أبي هلال العسكريّ (307-395هـ) وعبد القاهر الجرجانيّ(400-471هـ) الّذي أحكم أساسه وشيّد بناءه، ورتّب قواعده.

**هدفه:** الوقوف على أسرار كلام العرب، منثوره، ومنظومه، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة وتباين في درجات البلاغة الّتي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الّذي حار الجنّ والإنس في محاكاته، وعجزوا عن الإتيان بمثله.

***ثالثا/ علم المعاني:***

***1/التّعريف:*** هو علم يبحث في كيفيّة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو الطّريق الّذي يجب أن يسلكه الأديب للوصول إلى هذه الغاية، وفيه نحترز من الخطأ في تأديّة المعنى المراد، فنعرف السبب الّذي يدعو إلى الإيجاز والإطناب، والفصل والوصل....

***2/أعلامه:*** أوّل من دوّن قواعد هذا العلم هو "عبد القاهر الجرجاني"، حيث هذّب مسائله، وأوضح قواعده، وقد وضع فيه الأدباء والدّارسون نتفا؛ ك"الجاحظ"، و"أبي هلال العسكري"، إلاّ أنّهم لم يصلوا إلى مثل ما وصل إليه "الجرجاني".

***3/أهمّ مصادره:*** من جهة التّنظير: -دلائل الإعجاز ل"عبد القاهر الجرجاني".

-أسرار البلاغة ل"عبد القاهر الجرجاني".

-"الجاحظ" بكتاب: البيان والتّبين (المعاني مطروحة في الطّريق).

-"أبو هلال العسكري": كتاب الصّناعتين: (يمثّل اللّفظ عنده الكسوة والمعنى دور البدن).

ومن جهة التّطبيق: نذكر القرآن الكريم، الحديث النبويّ الشّريف، كلام العرب نثر وشعر؛ والّذي يقوم كلّه على نظريّة النّظم. (والمتمثّلة في: التّنسيق بين المعاني والألفاظ في وضع يقتضيه العقل).

***4/علاقة علم المعاني بعلم البلاغة:*** هو الرّكيزة الأولى والأساس النظريّ لعلم البلاغة العربيّة، (إلى جانب علمي البيان والبديع)، ويختصّ بدراسة أحوال التّركيب اللّغوي ومطابقته لمقتضى الحال، ويمكننا القول: أنّ علم المعاني هو القطب الّذي تدور عليه مفاتيح الجمال البلاغيّ، فهو يعنى باللّفظ ومدلولاته ضمن السّياق، ويعدّ "الجرجاني" هو المؤسّس له عبر نظريّة النّظم.

***5/ مباحث علم المعاني:*** لتسهيل دراسة مباحث هذا العلم قسّمه العلماء إلى ثمانية مباحث هي: الخبر/الإنشاء/أحوال المسند/أحوال المسند إليه/أحوال متعلّقات الفعل/القصر/الفصل والوصل/الإيجاز والإطناب والمساواة.

***6///أدواره الدّلالية والجمالية:*** يرشد علم المعاني المتكلّم إلى جعل الصّورة اللّفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة الّتي تخطر في الذّهن مع مراعاة الظّروف والأحوال (مقتضى الحال).

***7/فائدته:*** الوقوف على معرفة أسرار الإعجاز القرآنيّ من براعة التّركيب وحسن السّبك والإيجاز وجزالة الكلمات والوقوف على أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومه.

***رابعا/علم البديع:***

***تمهيد:***

عرفنا فيما سبق أنّ **علم البلاغة** يتشكّل من ثلاثة علوم أساسيّة، ألا وهي:

**علم البيان** وسيلة إلى تأدية المعنى بأساليب عدّة بين تشبيه ومجاز وكناية و...، وعرفنا كذلك أنّ دراسة **علم المعاني** تعين على تأديّة الكلام مطابقا لمقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من سياقه وما تحيط به من قرائن.

وهناك ناحيّة أخرى من نواحي البلاغة، لا تتناول مباحث علم البيان، ولا تنظر في مسائل علم المعاني، ولكنّها دراسة لا تتعدّى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعيّة من الجمال اللّفظي أو المعنويّ، ويسمّى العلم الجامع لهذه المباحث **بعلم البديع**.

***لغة***: البديع هو المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ ومشتق من قولهم، بدع الشّيء وأبدعه اخترعه لا على مثال.

***اصطلاحا:*** هو علم يعرف به الوجوه، والمزايا الّتي تزيد الكلام، حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال ومع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى.

***واضعه:*** واضع علم البديع ومدوّن قواعده هو الخليفة الشّاعر أبو العبّاس عبد الله ابن المعتزّ ابن المتوكّل المتوفى، سنة 296هـ وقد استقصى ما في الشّعر من المحسّنات وألّف كتابا سمّاه "البديع"، ذكر فيه سبعة عشر نوعا من أنواع البديع...ثمّ توالت التأليف بعده، عند قدامة بن جعفر(260-337هـ) وأبي هلال العسكريّ(307-395هـ)، وابن رشيق القيرواني(390-456هـ)، وصفي الدّين الحلي(677-752هـ)، وابن حجّة الحموي(767-837هـ)، وغيرهم ممّن زادوا في أنواعه ونظمت فيه قصائد عرفت بالبديعيات، وتنقسم المحسّنات البديعيّة إلى نوعين:

***1/ المحسّنات اللّفظية:***

كثيرة ومتعدّدة أشهرها: (الجناس، السّجع، التّرصيع، التّسميط، التّطريز، ...).

***2/ المحسّنات المعنوية:***

-كثيرة هي الأخرى ومتعدّدة ولا يسعنا المجال لذكرها جميعها أبرزها:(التّورية، الطّباق، المقابلة، حسن التّعليل، العكس،...).